علي الأكبر شبيه المصطفى

في الحادي عشر من شهر شعبان المبارك، ازدهرت المدينة المنورة بقدوم مولودٍ ملأ بيت الإمام الحسين عليه السلام بهجةً ونوراً. سُمي "علياً"، وكان منذ صرخته الأولى يحمل ملامح جده رسول الله صلى الله عليه وآله. كان وجهه يشع ضياءً، وكأن قطعةً من القمر استقرت في حجر والده، ليبدأ فصل جديد من العزة والجمال في بيت النبوة.

نشأ علي الأكبر في كنف أمه السيدة ليلى ابنة أبي مرة، التي ربته على الشموخ والإباء ومكارم الأخلاق. كانت تنظر إليه بفخر وهو يكبر أمام عينيها، يجمع بين كرم الطباع وعراقة النسب. استمد من جده أمير المؤمنين الشجاعة، ومن والده الحسين الثبات على الحق، فكان شاباً يافعاً يفيض وعياً وحكمة.

لم يكن علي الأكبر يشبه جده المصطفى في ملامحه فحسب، بل كان مرآةً له في أخلاقه ومنطقه البليغ. إذا تكلم، ظن السامعون أن النبي صلى الله عليه وآله هو من يتحدث، وإذا مشى، كانت خطواته تحكي وقار النبوة وعظمتها. كان شاباً يُهاب لجماله ويُعشق لعلمه وأدبه، فصار قِبلةً للقلوب التواقة لريح الرسول.

حين نادى الواجب، انطلق علي الأكبر مع والده الحسين في رحلتهما الكبرى نحو كربلاء. لم يكن مجرد ابنٍ يتبع أباه، بل كان فارساً يحمل لواءً القيم السامية. في الطريق، كان يحيط بوالده، يسهر على راحته، ويترقب اللحظة التي يفتديه فيها بروحه، معلناً انحيازه التام لمدرسة الفداء التي لا تعرف الانكسار.

في لحظةٍ من لحظات الطريق، سمع علي والده يسترجع ويقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون". دنا منه بوقار السائل العارف وسأله عن السبب، فأخبره الإمام برؤيا تنبئ بالمنية وقرب الأجل. هنا نطق علي بكلمته الخالدة: "يا أبه، أولسنا على الحق؟" فلما أجابه الحسين "بلى"، قال بيقين هز الجبال: "فإننا إذن لا نبالي أن نموت محقين".

وصل الركب إلى أرض كربلاء، وأُحيطت الخيام بجيوش الظلم من كل جانب. كان علي الأكبر يتحرك كالشعلة بين الخيام، يحرس النساء والأطفال، ويطمئن القلوب الوجلة بكلماته الشجاعة. ورغم الحصار واشتداد الخطب، لم تفارق السكينة وجهه الصبوح، فكان وجوده يمنح الأمان والسكينة لكل من حوله في تلك الأرض القاحلة.

في صباح العاشر من محرم، كان علي الأكبر أول من طلب البروز للميدان من بني هاشم. تقدم نحو والده يستأذنه للقتال، فغص الإمام بعبرته ونظر إلى السماء داعياً ربه، ثم عانقه عناق الوداع الأخير الذي امتزج فيه الحب بالدموع. برز الشاب للميدان وهو يرتجز ببطولة: "أنا علي بن الحسين بن علي.. نحن وبيت الله أولى بالنبي".

انقض علي الأكبر على صفوف الأعداء كالبرق الخاطف، مبرهناً على شجاعة علوية لا تُقهر. كان يقاتل قتال الأبطال، يفرق الجمع تلو الجمع بضربات دقيقة وسريعة، ولم تستطع السيوف الكثيرة النيل من عزيمته الراسخة. كانت حركاته في الميدان تحكي قصة الوفاء والذود عن الحق والعدالة في وجه الطغيان.

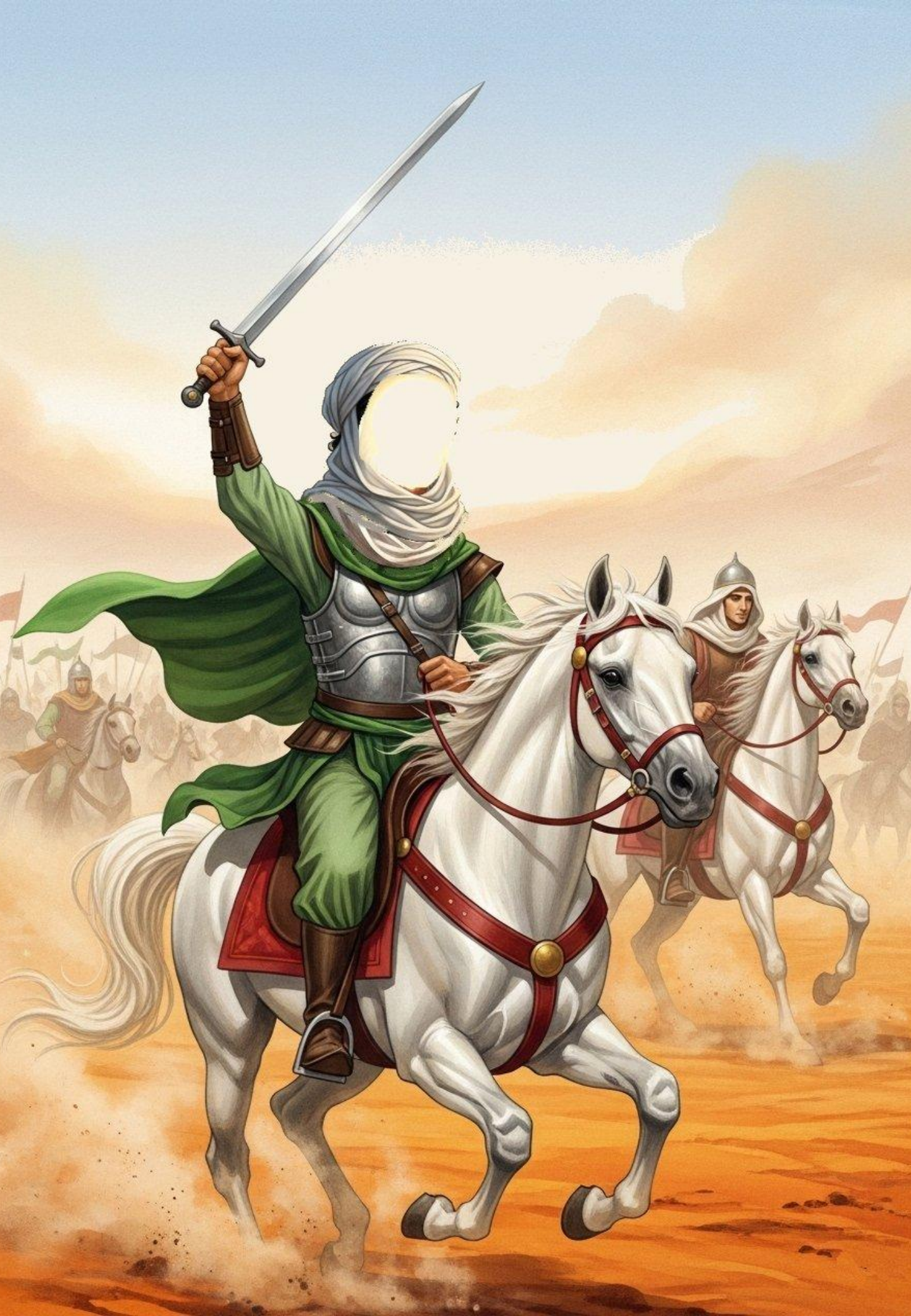

اشتد العطش بعلي الأكبر، فعاد إلى والده وقد جف لسانه من حر الشمس وطول القتال وثقل الحديد. قال بصوت مجهد: "يا أبه، العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني". وضع الحسين لسانه في فمه ليشعره بمرارة العطش المشترك، وأعطاه خاتمه ليمصه، واعداً إياه بلقاء جده المصطفى ليسقيه الكأس الأوفى التي لا ظمأ بعدها.

عاد علي للميدان بكل ما بقي له من قوة، ليخوض جولته الأخيرة دفاعاً عن والده. وبينما هو يقاتل، أصابته ضربة غادرة على رأسه غطت عينيه بالدماء، فاحتضن رقبة فرسه ليبقى ثابتاً. لكن الفرس، من هول المصاب وكثرة السهام، اتجه به نحو معسكر الأعداء بدل الخيام، حيث تكالبت عليه السيوف من كل جانب في مشهد مؤلم.

وصل الحسين إلى ابنه وهو يجود بنفسه في اللحظات الأخيرة. ارتمى بجانبه ووضع رأسه في حجره، صرخ بمرارة وحرقة قلب: "على الدنيا بعدك العفا يا ولدي!". مسح الدماء عن وجهه الشبيه بوجه النبي، وشهد لحظات عروج روحه الطاهرة إلى السماء، ليكون أول شهيد من عترة الحسين يفتتح ركب الخلود في ذلك اليوم العظيم.

لم تنتهِ قصة علي الأكبر برحيله، بل بدأت كأعظم مدرسة للشباب عبر العصور. خرجت السيدة زينب من الخيام تنادي "وا ابن أخاه"، معبرة عن حزنٍ هز أركان الوجود، بينما بقي ذكر علي الأكبر منارةً لكل ثائر. علّم الأجيال أن الشباب هو وقت التضحية في سبيل المبادئ، فسلامٌ عليه يوم وُلد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً.

النهاية

علي الأكبر شبيه المصطفى

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م